(٦)

نساء اليوم[١]

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

أحمده سبحانه وأتوب إليه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أدي الأمانة وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركنا علي المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا. صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله علي آله وأصحابه، ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ورضي الله عمن دعا بدعوته، ونهج نهجه، وسلك سبيله، ونصر دعوته إلي يوم الدين.

أما بعد فيا معشر المسلمين:

أصل الداء ومحور البلاء:

لقد تحدثنا قبل الجمعة الماضية عن الشباب وما عليه من واجبات[٢]، وما يعقد عليه من آمال، ورأينا كيف فسد الشباب، وكيف ظل يتسكع في

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في: ٢٦ من ذي القعدة ١٣٧٢هـ الموافق: ٧ أغسطس ١٩٥٣م.

(٢) لشيخنا حفظه الله اهتمام بالغ بالشباب في كتبه وخطبه، ومحاضراته وتوجيهاته، وله محاضرة مطبوعة بعنوان (واجب الشباب المسلم اليوم) ويظهر اهتمام شيخنا البالغ بالشباب في خطبه، حيث جمع الجزء الرابع من خطب فضيلته أكثر من خطبة تتعلق بالشباب ومنها: حال شبابنا اليوم – حال فتياتنا اليوم – وصايا للشباب المسلم المغترب.

الطرقات، وكيف نسي مهمته، وأغفل واجبه، وتركه الآباء، وأطلقوا له العنان، وأهمل في حقه أولياء الأمور، ولكنا بجانب ذلك لا ننسي فساد النساء[1]. إذا ذكرنا الشباب وإذا تألمنا للشباب فيجب أن نذكر أمرا آخر هو: أصل الداء، ومحور البلاء، يجب أن نذكر: فساد النساء فإذا فسد النساء فسد الشباب، أمران متلازمان، كل منهما سبب ونتيجة للآخر.

كيف نطالب الشباب بالاستقامة وبالسير علي الجادة، وعلي أمر الله وكيف يتجنب الخطايا، ويبتعد عن طريق الشيطان؟ وهو إذا سار سارت الفتنة بجانبه، إذا تطلع عن يمينه وعن شماله لم يجد إلا الخلاعة مجسمة، والفجور يسعي علي قدمين.

كيف نطالب الشباب بالاستقامة، والحياة بجانبيه تدعوه إلي الإثم ، وتغريه بالفسوق، وتحضه علي الرذيلة؟

كيف نضع الفحم بجوار النار، ثم نقول له: يا فحم إياك أن تشتعل؟!

أدر بصرك علي هذا المجتمع الذي نعيش فيه ثم انظر ماذا تري. تري فيه تحللا، وتري فيه إباحية، وتري فيه فسادا عريضا.

نساؤنا ونساء السلف:

لقد كانت المرأة أيام السلف الصالح تستحي أن تكشف النقاب عن وجهها، وكانت تعتقد أنها ردَّة مكنونة، وجوهرة مصونة، إذا تعرضت لعبث الأيدي احتقرت وأبتذلت.

أما المرأة في هذه الأيام: فقد أصبحت تعتقد في نفسها أنها دُمْيَة للعبث واللعب، تخوض الطرقات، وتزاحم الرجال بالمناكب في الأحفال والمراقص.

---

(١) لشيخنا – أطال الله عمره وحسن عمله – اهتمام بالغ بالمرأة، فهو نصير من أنصارها، ومنصف من منصفيها، نعم هو كذلك من أبرز الدعاة الذين أنصفوا المرأة من الظلم الاجتماعي البين، الذي ينسب أحيانا إلي الدين والدين منه براء، لكن إنصاف الشيخ للمرأة ليس كإنصاف دعاة التحرير أو (التحليل) وإنما هو إنصاف نابع من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولهذا رأينا قلم الشيخ لا يفتأ يُذكّر بالمرأة وما لها وما عليها، ومن ذلك: مركز المرأة في الحياة الإسلامية، النقاب للمرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه، فتاوي للمرأة المسلمة وأخيرا: بحثه الأصيل في (دية المرأة).

أما المرأة الآن فقد كشفت برقع الحياء عن وجهها وخالطت الرجال كأنها رجل، أو أقل حياء من الرجل، مع ما ورد في الآثار: «لو أن الله لم يستر المرأة بالحياء لكانت لا تساوي كفا من تراب» فكم تساوي المرأة اليوم بميزان الإسلام وقدفقدت الحياء وقلدت المرأة الغربية شبرا بشبر، وذراعا بذراع؟!

اكتبوها في مكارم الأخلاق:

حدثوا أن امرأة اشتكت زوجها بالمتأخر من مهرها، فذهبت إلي القاضي، وأراد القاضي أن يري الشهود وجهها. فقالت المرأة: ولماذا هذا؟ فقال القاضي: لابد من أن يري الشهود وجهها ليكون الحكم عادلا. فقالت: إذا أدي الأمر إلي أن يري الشهود وجهي فأشهدكم أني تنازلت عن حقي. وبلغ ذلك الزوج، فقال: أما وقد فعلت ذلك، فإني أعطيها ما طلبت بلا محاكمة ولا قضاء. فقال القاضي: تكتب هذه من مكارم الأخلاق!

هذا مع أن القول الصحيح: إن النقاب فضيلة – لا فريضة.

هكذا كان المجتمع الإسلامي، وكانت الفضيلة في قوم أشربت قلوبهم الإيمان.

عُرْي مَقيت وتبرج مرفوض:

ماذا نري اليوم؟ نري ما قاله رسول الله ﷺ: «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

هذا ما نري اليوم، آنسات وهن متبجحات، وزوجات وهن متحللات، لابسات وهن عاريات.

إي وربي.. ملبس يصف ما تحته، ويكشف عما وراءه كأنما صنع من زجاج، لا يستر عورة، ولا يغطي مكشوفا، فكيف نرضي لأنفسنا أن نصل إلي هذا؟

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨) عن أبي هريرة ومطلع الحديث: «صنفان من أهل النار لم أرهما ...» وذكر منهما هذا الصنف من النساء.

إنك لو ذهبت إلي أحد الشواطيء والمصايف، ورأيت ما هناك لهالك ما رأيت. تري النساء العاريات، أو شبه العاريات. تري الحياء وهو يذبح، تري الفضيلة ودمها يراق، تري الأجسام التي تعرض لحوما رخيصة تباع علي أعين الناس. وبعد هذا يقال: مسلمون ومسلمات[1]! وقد قال النبي ﷺ: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيت زوجها، إلا هتكت ستر ما بينها وبين ربها»[2].

وهاهن اللاتي يخلعن ثيابهن علي «البلاج» وعلي جوانب البحار، وعلي مرأي من الشباب والرجال.

أي رجولة بقيت للرجل الذي لا يغار؟! وأي أنوثة بقيت للمرأة التي لا تخجل؟!!

إذا لم تخش عاقبة الليالى ... ولم تستحى فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

فساد المرأة فساد لكل شيء:

إن الأمة التي تفسد فيها المرأة يفسد فيها كل شيء.

بفساد المرأة يفسد الشباب، وبفساد الشباب تفسد الأمة، وبفساد الأمة يفسد اجتماعها، تفسد سياستها، ويفسد جيشها، وتفسد شرطتها، ويفسد اقتصادها، لأن الشباب بمثابة قلبها، وإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله.

ويقول رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر علي الرجال من النساء»[3].

---

(١) لا يقصد فضيلة الشيخ نفي الإسلام عن هؤلاء، فهو يرفض التكفير بالمعاصي حتى وإن كانت كبائر، إنما يقصد نفي الإيمان الكامل. راجع رسالة الشيخ (ظاهرة الغلو في التكفير).

(٢) رواه أحمد (٢٤١٤٠) عن عائشة وقال مخرجو المسند: حديث حسن، وأخرجه الدارمي (٢٦٥١) وأبو يعلي (٤٣٩٠) ورواه أحمد أيضا برقم (٢٦٥٦٩) عن أم سلمة بلفظ: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، خرق الله لها سترا»، وقال محققو المسند: حسن لغيره.

(٣) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١٧٤٤)، رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٠) عن أسامة بن زيد.

وإنما تكون المرأة فتنة إذا تركت مكانها الطبيعي، ومقرها الفطري، إذا فقدت خلق الحياء، الذي هو حليتها قبل الذهب والجواهر. تكون فتنة إذا تركت بيتها، وخرجت إلي الشارع لغير حاجة، إلا لتجذب أنظار الرجال، وتثير غرائز الشباب! المرأة هي مديرة البيت أو مربيته ورئيسته، تطهو طعامه، وتنظم أثاثه، وترعي أولاده، وتعمل ما تستطيع من راحة لزوجها.

مكانها أن تجعل البيت جنة من جنان الفردوس فى الدنيا. فيه راحة البدن، وسكون النفس، وطمأنينة القلب، ونعيم الحياة، يجيء الرجل من عمله متعبا فيرتاح في بيته، منغصا فيسعد بين أهله، فما للحال أصبحت غير الحال؟!

لمن تكون الزينة؟

يفرض الإسلام أن تتزين المرأة في بيتها وأن تتجمل وتتعطر لزوجها، ولكن الآية قد انقلبت، تظل المرأة في البيت علي أسوأ حال. تلبس الخلق البالي من الثياب، حتي إذا تهيأت للخروج إلي الشارع وقفت أمام المرآة ساعة، أو أكثر، تضع ألوان الأصباغ وفنون المساحيق.

نعم تطمئن علي أناقة الملبس، وجمال الهندام، وروعة المنظر، وتصنع النماذج والبروفات، للبسمات والضحكات، واللفتات والإشارات.

أجل تقف المرأة ساعة أو ساعات، وتكسل أن تقف بين يدي الله دقائق معدودات، وتخرج المرأة بكل ما عندها من زينة، وبكامل ما عندها من مغريات الفتنة، تعرض نفسها للناس كأنها تقول لهم: هيا انظروا وتأملوا!

ما هكذا تكون الفضيلة، وما هكذا يكون الحياء!! ما هذه إلا الرذيلة والخلاعة التي يبيض الشيطان فيها ويفرخ، والتي يعشش فيها إبليس، ويتخذ منها أحابيله ومصايده.

لقد قال إبليس لمثل هذه المرأة المتبرجة المتمردة علي طبيعتها: أنت موضع سري، وأنت نصف جندي، وأنت سهمي الذي بك أرمي فلا أخطيء.

فهل عرفنا ما علينا؟ هل ربّي الأب ابنته، وراقب الزوج زوجته، ونصح الأخ أخته؟ وأصبح كل منا عينا يقظة متطلعة إلي ما يدور خلفه، وإلى ما يدبر حوله.

ربوا نساءكم وإلاّ:

يجب أن يغرس الأب في ابنته منذ نعومة أظافرها الفضيلة، ويؤدبها بأدب الله ورسوله، ويعلمها معاني الحياء، ومعني احمرار الخد حينما تذكر كلمة نابية.

خُمْرة خد الفتاة دليل علي وجود الحياء فيها.. أما أولئك النساء المتفلتات فتستمع إحداهن الكلام القبيح وتضحك له وتقهقه.. وتري المرأة تتأبط ذراع الرجل الأجنبي عنها. والفتاة تتأبط ذراع الفتي.. حقائق مسترذلة.

إنه إذا استجملت[1] الناقة، فما أشد المصيبة. وحينما يتخنث الشباب، وتسترجل المرأة، وتستجمل الناقة، ويستنوق الجمل. وقد رُوي عن النبي ﷺ: «كيف أنتم إذا طغي نساؤكم – أي خرجن علي رجالهن وطبيعتهن – وفسق شبابكم، وتركتم جهادكم؟» فقال الصحابة: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون» قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: «كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟» قالوا: وكائن ذلك يارسول الله؟ قال: «نعم. والذي نفسي بيده، وأشد منه سيكون!» قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: «كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكرا، والمنكر معروفا. قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون» قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: «كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟» قالوا: وكائن ذلك يارسول الله؟ قال: «نعم. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون، قال الله تعالي: بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران»[2] هكذا علمنا هذا الحديث الشريف، كيف يتوالد الفساد، ويتسلسل الانحراف.

كأن الفساد سلسلة متماسكة الحلقات، حلقة تتبعها حلقة.

---

(١) استجملت الناقة: أى صارت جملا، أو حاولت أن تكون.

(٢) رواه أبو يعلي (١١ / ٣٠٤) عن أبي أمامة، وقال الحافظ العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف، دون قوله: «كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف» ورواه أبو يعلي من حديث أبي هريرة مقتصرا علي الأسئلة الثلاثة الأولي، وإسناده ضعيف (٢ / ٣٨٠)، وذكر الألباني المختصر في السلسلة الضعيفة (٥٢٠٤).

تطغي النساء، فيفسد الشباب، فتضعف الهمم، فيترك الجهاد، فيترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، فإذا فشا المنكر أنس الناس به، واطمأنوا له، صار المعروف منكرا، والمنكر معروفا.

ثم تتدرج الحال من سيىء إلي أسوأ. فيأمر الناس بالمنكر وينهون عن المعروف ، شأن مجتمع المنافقين الذي وصفهم الله بقوله: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة: ٦٧] إنها فتنة يصير الحليم فيها حيران.. بدأها طغيان النساء وفساد الشباب.

إن القرآن الكريم يقول: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣٤]، ولكن العصر الحديث ومنطق الحضارة الأوروبية يقول: (النساء قوامات علي الرجال).

المرأة أصبحت تتحكم في زوجها وتمسك بزمامه، وتبدد ثروته في أحدث الأزياء وأغلي الأصباغ.. فتعس عبد الزوجة. وفي الحديث: « إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شوري بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاؤكم، وأموركم إلي نسائكم، فبطن الأرض خير من ظهرها »[1].

يا أيها الناس، يا أيها المسلمون: عودوا إلي الفطرة، عودوا إلي فضائل الإسلام.. ليعرف الرجل حقه، ولتعرف المرأة وظيفتها، وليعرف الشباب رسالته، وليطلب كل ما له، ويؤدي ما عليه والله معنا ولن يترنا أعمالنا.

يقول رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا يدخلون الجنة: الديوث، والرجلة، ومدمن خمر » قالت الصحابة: أما مدمن الخمر فقد عرفناه يا رسول الله، فما الرجلة من النساء؟ فقال: التي تشبَّه بالرجل »[2].

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢٢٦٦)، وقال: حديث غريب، وذكره الألباني في ضعيف الترغيب (١٥٥٧).

(٢) رواه الطبراني عن عمار بن ياسر، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني، وفيه مساتير وليس فيهم من قيل إنه ضعيف (٤ / ٣٢٧). قال القرضاوي في المنتقي: فالحديث ضعيف، ولكنه حسن بشواهده كما أشار المنذري (٢ / ١٧٣) وذكره الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٦٧).

لا تسمعوا لهذه الشائعات:

كأني أحس ببعض الجاهلين الذين ضلت عقولهم، أو المغرضين الذين مرضت قلوبهم، يشيعون عنا: أننا نريد أن نحجر علي فم المرأة حتي لا تتكلم، وعلي صدرها حتي لا تتنفس، وعلي عقلها حتي لا تتعلم، وعلي قلبها حتي لا تحب ولا تكره، وعلي جسدها حتي لا تتزين. لا نعجب أن يشيعوا عنا مثل هذا، فالغرض مرض، والهوي إله معبود ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ....** ﴾

نظرة الإسلام للمرأة:[1]

ونسي هؤلاء أو تناسوا أن الإسلام أول رسالة كرّمت المرأة من هوان، وأعزتها من ذل، وعلمتها من جهل، وانتشلتها من هوة سحيقة، ونقلتها من متاع رخيص إلي إنسان عاقل، له حقوق وعليه واجبات!! إنسان ذي أهلية كاملة للتكليف، وله ذمة مالية كاملة، يملك ويتصرف، ويبيع ويشتري كما يشاء. وجعلت طلب العلم فريضة عليه، كما هو فريضة علي الرجل.

وصنعت في مصنع البطولة نساء مسلمات بجانب الرجال المسلمين.

لقد كرم الإسلام المرأة بنتا لأب، وكرمها زوجة لرجل، وكرمها أما لأولاد..

نعم كرمها الدين بنتا فأنقذها من الوأد المقيت، وأنكر هذا الجرم الشنيع ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [التكوير: ٨-٩] وجعل ولادتها بُشْري، وتربيتها رحمة ومثوبة.

وكرمها زوجة فجعل لها مثل ما عليها، إلا درجة الإشراف والقوامة للرجل، وأمر بمعاشرتها بالمعروف ومعاملتها بالحسني، وجعل الزواج بها من آيات الله البينات، ومن نعمه الباهرة «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[2].

---

(١) للمزيد من تكريم المرأة راجع ما ذكره فضيلة الشيخ في كتابه: (ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده) ص٣٢١ وما بعدها، وانظر كذلك: (مركز المرأة في الحياة الإسلامية) ص٩ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم في الرضاع: (١٤٦٧) عن عبد الله بن عمرو.

وكرمها أمًا، فجعل الجنة تحت أقدامها، وضاعف الوصية بها «من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك»[1].

وكرمها مثل ذلك، عضوا في المجتمع المؤمن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

فهل بعد هذا التكريم من تكريم لو فقهوا؟ وهل بعد هذه العناية من عناية لو أنصفوا؟ ولكنهم لايفقهون ولا ينصفون.

إنما تنفع المقالة فى المرء ... إذا صادفت هوى في الفؤاد

من حقوق المرأة فى الإسلام:

نحن نطالب بحق المرأة – بل واجبها – في أن تتعلم ما أمكنها من علوم الدين والدنيا. فالعلم ليس مقصورا علي الرجال، وطلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة.

ونطالب بحق المرأة أن تعمل، وأن تهيأ لها سبل العمل الملائم لها، ما دامت ملتزمة بأدب المسلمة في اللباس والمشي والنظر والحركة واللقاء بالرجال.

ونطالب بحقها – بل واجبها – أن يكون لها نشاطها في خدمة المجتمع، وعمل الخير، والمشاركة في الدعوة إلي الله، وتعليم الناس الخير.

أما أن تتمرد المرأة على أنوثتها، وتتنكر لفطرتها ورسالتها، وتتحدى الأمومة الكامنة في حناياها، لتذرع الشوارع ذهابا وإيابا، ولتكون نائبة من (النوائب)، أو وزيرة من (أوزار) الدولة، أو سفيرة من (السفائر)، فتذهب إلى أمريكا، وتخلف زوجها في مصر ينعي الوحدة، ويشكو الوحشة، فليس هذا مما يشرّف المرأة أو يسعدها، فليتها تعرف قدرها فتعود إلى عرينها، تربي فيه أشبال اليوم وأسود الغد.[2]

---

(١) متفق عليه كما في اللؤلؤ والمرجان (١٦٥٢)، رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٨) عن أبي هريرة.

(٢) كانت هذه أفكار الشيخ في شبابه عن المرأة، وهي متفقة في عمومها مع آرائه اليوم، إلا في الحقوق السياسية للمرأة، وقد عرفت مرحلة الشباب بالحماسة والفتوة، ثم نضجت أفكار الشيخ، نضوجا علميا، تؤيده الحجج، وتؤصله الأدلة والبراهين، لهذا عدل الشيخ عن التشدد في هذا الأمر، وأفتي بمشروعية ترشيح المرأة للمجالس النيابية، وتوليها المناصب القضائية والسياسية =

لا . لا يا أخت فاطمة الزهراء، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء ذات النطاقين، وسكينة بنت الحسين.

عودي إلي عشك الأمين، عودي إلي حضنك المكين، عودي إلي ميدانك الذي خصصت به دون الرجال، فرابطي فيه، وجاهدي هناك بسلاح القدوة الحسنة، والتربية الحية والخلق المتين.

عودي يا أختاه ولا تسمعي عواء ذئاب الطرقات، وحيل الصقور التي تريد إخراجك من عشك الوديع.

اسعي يا أختاه: أن تخرجي لنا عمرا كعمر، وخالدا كخالد، ومعاذا كمعاذ. ربي الأجيال، واصنعي الأبطال، وقومي علي تنشئة الرجال، ورحم الله شاعر النيل الذي قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق!

عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

والحديث كما نري من أعلام النبوة، فهو تصوير دقيق من وراء الغيب لنساء عصرنا، كما ربط بين الاستبداد السياسي والانحلال الأخلاقي، وهو أمر واقع.

ادعو الله يستجب لكم..

= وقد استند الشيخ في هذا إلي أئمة أعلام، منهم: أبو حنيفة حيث أجاز للمرأة أن تتولي القضاء، فيما تجوز شهادتها فيه؛ أي في غير الأمور الجنائية، وزاد الطبري وابن حزم جواز توليتها القضاء في الجنايات وغيرها، ومما يجدر التنبيه عليه: أن الشيخ لا يعد هذا واجبا لازم الحدوث، ولكن ينظر إليه في ضوء مصلحة المرأة، ومصلحة الأسرة، ومصلحة المجتمع، ومصلحة الإسلام.

راجع فتاوي معاصرة (٢ / ٣٢٠) وما بعدها، وانظر: مركز المرأة في الحياة الإسلامية ص ٢٩ وما بعدها.

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨) عن أبي هريرة ومميلات: يعلمن غيرهن الميل، ومائلات: يمشن المشية المائلة.

(٧)

هذا ماضينا فأين حاضرنا؟؟!![1]

الحمد لله يعز من اعتز به، ويهدي من اعتصم بحبله، وينجي من التجأ إلى جنابه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٣]

سبحانه لا إله إلا هو. أحمده وأتوب إليه، وأؤمن به وأتوكل عليه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه. ورضي الله عن آله وأصحابه الذين كانوا يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع، وكانوا رهبان الليل وفرسان النهار، وكانوا قادة الدنيا وأئمة الدين، فرضي الله عنهم، وحشرنا في زمرتهم. اللهم احشرنا في زمرتهم يا رب العالمين؛ يوم يحشر المتقون إلى الرحمن وفدا، ويساق المجرمون إلى جهنم وردا.

أما بعد فيا معشر المسلمين:

بين الأمس واليوم:

ننظر إلي ماضينا ثم نقارن بينه وبين حاضرنا، فيرتد الطرف خاسئا وهو حسير، باكيا والقلب حزين، نعود وتفيض العيون عبرات وعبرات، ويوقد في القلب حسرات وحسرات.

كنا أقوياء؛ فأصبحنا ضعفاء!!

كنا أعزة؛ فصرنا أذلاء!!

كنا أغنياء، فبتنا فقراء!!

كنا سادة؛ فأصبحنا عبيدا!!

كنا نحكم الدنيا؛ فأصبحنا أذل المحكومين!!

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في ١١ ربيع الثاني ١٣٧٣هـ، الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٥٣م.

كانت كلمتنا هي المسموعة، ورأينا هو السائد، وقولنا صدق، وحكمنا عدل، فأصبحنا لا يُسْمع لنا رأي، ولا يُطاع لنا أمر، ولا يُحترم لنا قول، بل تعزز علينا الذليل، واستقوى علينا الضعيف، واستنسر بأرضنا البغاث. حتى الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة أصبحوا يذيقوننا كؤوس الأذى ومرير العذاب، ونحن مع هذا غافلون، وفي سكرتنا لاهون، وفي غمرتنا ساهون.

قوة يحسب لها ألف حساب:

لقد كنا أقوياء. وكانت الدنيا تحسب لنا ألف حساب وحساب. وكان الشرق والغرب يعرف لنا قدرنا وحقنا، ويدرك قوتنا وعزتنا. لقد صاحت امرأة في بلاد الروم للمعتصم العباسي فقالت - حينما أريد لها الذلة -: وامعتصماه.. وبلغ نداؤها الخليفة المعتصم، رغم الجبال والبحار، فلم يسد أذنا من طين، وأذنا من عجين، ولم يبعث باحتجاج تافه حقير، ولم يرسل خطابا تهديديا، ولكنه كان مجيبا جوابا واقعيا. جوابه - احتجاجه - أن جَيّش الجيوش، وجَنَد الجنود لتؤدب أعداء الله المستكبرين[1].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز بلغه أن رجلا أسيرا مسلما في بلاد الروم أهانه آسروه واستذلوه، فأرسل (عمر) هذه الكلمات بمثابة إنذار وتهديد لملك الروم. قال: أما بعد.. فقد بلغني أنكم أردتم أن تستذلوا أسيراً مسلما كتب الله له العزة، فإذا وصلك خطابي هذا فأطلق سراحه، وفك أسره، وإلا بعثت إليك بجنود أولها عندك وآخرها عندي! وما كان لهؤلاء الأعداء إلا أن أطلقوا سراحه، وخلّوا سبيله[2].

وكان الخليفة العباسي الشهير هارون الرشيد يتحدي السحابة في السماء، ويقول لها بعد أن تحركت وبعدت عن بغداد. شرِّقي أيها السحابة أو غرّبي، وأمطري حيث شئت، فسيأتيني خراجك.

هكذا كنا أقوياء.. كانت جيوشنا تنطلق في أرض الله. القرآن في صدورهم، والسيوف في أيديهم، والإيمان في قلوبهم، لا دنيا يريدونها، ولا أموالا يطلبونها، ولا سلطانا يبتغونه، ولا جاها يتطلعون إليه. فهم يعلمون أن المال ظل زائل، وأن الجاه عرض حائل، وأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة،

---

(١) للمزيد راجع «فتح عمورية» تاريخ الطبري (٥/٢٣٣).

(٢) راجع القصة في كتاب (عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم) ص ١٤٣ - ١٤٤.

(ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقي كافرا منها شربة ماء.)[1] ولكنهم انطلقوا يدعون إلى الله، ويهدون البشرية للتي هي أقوم، ويخرجون الناس من الظلمات إلى النور وذهب بعضهم[2] إلى (رستم) قائد الفرس. فدخل هذا العربي المسلم المجاهد، على هذا القائد، وحوله الخدم والحشم، والحجاب والحرس، والعرش والتاج، والسندس والاستبرق، وظن هؤلاء أن المظاهر والزخارف والزينات ستأخذ بلباب هذا العربي المقبل من الصحراء القاحلة، والأرض المقفرة. ولكن الرجل المسلم - دخل على القائد الكبير - يدوس على الوسائد، لايبالي أخرقها برمحه؟ لم تغره هذه البسط والنمارق، والزرابي، والمظاهر.

ثم دخل على القائد فجلس بجواره. فغضبوا وكلموه في ذلك فقال: كنت أحسب أنكم مثلنا، ما كنت أحسب أن بعضكم أرباب لبعض؟! نحن أخوة بعضنا لبعض. أميرنا كواحد منا، يجلس ونجلس معه، ويحادثنا ونحادثه، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابًا من دون الله، ثم قال له: من أنتم؟ فقال له: نحن قوم قد ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلي عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلي سعتها، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام. فمن تبعنا إلي ذلك فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن وقف في سبيلنا، وصدنا عن غرضنا، قاتلناه حتى نقضى إلي موعود ربنا.. قال: وما موعود ربكم؟ قال: الجنة لمن مات والفوز والنصر لمن بقي.

هكذا كانت قوتهم ، وهكذا كان جهادهم وعزتهم.

كنا أغني الأمم:

وكانوا أغني الناس في الدنيا مع أنهم زهدوا في زخارفها، ووضعوها في أيديهم ولكنهم لم يسكنوها في قلوبهم، وتُقبل إليهم بوجهها وهم عنها معرضون.. كانوا أغني الناس.. بحثوا عن فقير مسلم في عهد عمر

---

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٢١) وابن ماجه في الزهد (٤١١٠) عن سهل بن سعد، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٨٩).

(٢) هو ربعي بن عامر، والمعركة: القادسية، وقائدها: سعد بن أبي وقاص، وفيها دارت حوارات ومراسلات بين جند المسلمين وقادة الفرس. انظر: تاريخ الطبراني (٢ / ٤٠١).

ابـن عبد العزيز ليعطوه الزكاة فلم يجدوا. وقالوا: لقد عمّ عدل الإسلام الجميع، فقال عمر: اشتروا بها رقابا فأعتقوها. أي بعد أن حرر الإسلام الناس من الفقر، شرع يحررهم من الرق[1].

وصدق الله العظيم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

كنا سعداء بإيماننا ورسالتنا:

وكانوا سعداء في دينهم ودنياهم بإيمانهم وأخلاقهم.

ولست أري السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد[2]

---

(١) هذه رائعة من روائع الإسلام وسماحته مع غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الغربي، ولقد تحدث شيخنا الفاضل عن هذا في عدد من كتاباته، ولعل أوفاها: (غير المسلمين في المجتمع المسلم). طبعة ونشر مكتبة وهبة.

(٢) لشيخنا الفاضل في السعادة قصيدة شرقت وغربت، وتحدث فيها الركبان، واقتبس منها الشيوخ والشبان، وهي القصيدة التي جعلت الشيخين: البهي والغزالي، يختلفان علي مستقبل القرضاوي، فرأي البهي فيه فقيها ناضجاً، ورأي الغزالي فيه شاعرا صاعدا، وأبي الله إلا أن تتزاوج الرؤيتان لتنجب لنا: أديب الفقهاء وفقيه الأدباء. أطال الله لنا عمره، وبارك لنا في جهده.

ومما قال الشيخ في القصيدة:

أمل إليه هفت قلوب ... الناس في الزمن التليد
أمل له غور القديم ... كما له سحر الجديد
أمل إليه سعى الملوك ... كما إليه رنا العبيد
وتزاحموا كالهيم يد ... فعها الصدى عند الورود
وتساءلوا عنه ولكن من ... يجيب؟ ومن يفيد؟

ويجيب الشيخ السائلين والباحثين عن السعادة بقوله:

قل للذى يبغي السعادة ... هل علمت من السعيد؟
إن السعادة: أن تعيش ... لفكرة الحق التليد
لعقيدة كبرى تحل ... قضية الكون العتيد
وتجيب عما يسأل الحير ... ان في وعي رشيد
من أين جئت؟ وأين أذهب؟ ... لم خلقت؟ وهل أعود؟
هذه العقيدة للسعيد ... هي الأساس هي العمود
من عاش يحملها ويهتف ... باسمها فهو السعيد

انظر: نفحات ولفحات ص ٩٦ وما بعدها.

هي السعادة التي تنبع من القلب، وتطمئن بها النفس ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨٢]..

حدثوا أن عمر غاضب زوجته أم كلثوم بنت عليّ فقال لها متوعدا: لأشقينك! فقالت: لا تستطيع أن تشقيني، لأني لا أري سعادتي في مال تستطيع أن تقطعه عني، ولكني أري سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير الله ربي[1].

كنا أساتذة الدنيا:

كنا أساتذة الدنيا، وقادة الحضارة، ومعلمي البشرية، نحو ثمانية قرون. اقتبست منا أوربا المنهج العلمي والتجربة، وتعلمت منا في الحروب الصليبية، وفي الأندلس، وفي صقلية وغيرها.

وكانت كتبنا العلمية مراجعهم الأولى، وعن طريق علمائنا وحدهم عرفوا فلسفة أرسطو، وعلوم أرسطو.

كنا في رأس القافلة، وكنا نحن الآخذين بزمامها، وكنا نعلم الناس العلم والإيمان، فعلمهم أخلاق الدين وإبداع الدنيا.

كـــذلك كنا.. وهكذا أصبحنا!!

لقد أصبحنا في المؤخرة بعد أن كنا في الطليعة والمقدمة، وأصبحنا في الحضيض بعد أن كنا في الذروة، وأصبحنا تلاميذ بعد أن كنا أساتذة الدنيا وقادتها، وأصبحنا نتلقى العلم على يد غيرنا بعد أن كنا نلقنه لغيرنا. لقد أهدى هارون الرشيد ساعة دقاقة تدور بالماء إلى (شرلمان) إمبراطور الروم فارتعشت فرائصهم، وخافوا وقالوا: إن المسلمين يسخرون الجن والعفاريت.

لقد كانت (قرطبة) عاصمة الأندلس منارة العلوم والمعارف، وظلّت نحو ثمانية قرون تنشر العلم والنور.

(قرطبة) كانت تضاء بالمصابيح، بينما كانت أوربا تغيب في ظلام الليل.

---

(١) لفضيلة الشيخ كلام رائع في كتابه: (الإيمان والحياة) تحت عنوان: (الإيمان والسعادة). ص ٧٦ وما بعدها. ط. مكتبة وهبة.

(قرطبة) كانت شوارعها مرصوفة بينما كانت أوربا غارقة في الأوحال.

(قرطبة) كان فيها (٦٠٠) حمام؛ بينما كان أهل أوربا لا يهتمون بالنظافة، حتى القسيسون والرهبان يقولون: إن النظافة بُعْدٌ عن الله، ويقول أحدهم: رحم الله القديس فلانا.. لقد عاش خمسين عاما ولم يقترف إثم غسل الرجلين.!!!

ويقولون: وا أسفاه!! لقد كان من قبلنا يعيش طول عمره، ولا يبل أطرافه بالماء، ولكنا أصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمام!! فانتقلت العدوى إليهم[1]. كان كثير من سراة أوربا لا يعرفون توقيع أسمائهم بينما كانت قرطبة منارة العلم والعرفان.

ينظر الإنسان إلي هذا الماضي العزيز فيعود بأعين باكية، وقلوب حسري، ويفكر في هذا الماضي، كنا أمراء وكنا أقوياء، وكنا أوصياء علي هذه البشرية القاصرة فأصبحنا هكذا في مؤخرة القافلة!!!

حاضر مؤسف:

يا معشر المسلمين: هذا هو ماضينا العظيم، أما حاضرنا فالحال كما ترون.

محنة فلسطين:

هذه مصر ومراكش وتونس والجزائر وفلسطين.. فلسطين الجريحة، فلسطين الذبيحة التي يلاقي أهلها الأمرين، ويذوقون الظلم. لقد عاد العائدون من مؤتمر القدس ببعض الأنباء التي تثير الأعصاب، (المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين[2] - الذي بارك الله حوله - ثالث مساجد الله التي لا تشد الرحال إلا إليها. هذا المسجد بيتت له المؤامرات اليهودية، ولا ندري ماذا سيكون إن لم يتيقظ المسلمون. وهيهات هيهات!!

هذه الحفنة أخذت فلسطين واغتصبتها أمام أعيننا، ونحن نسمع ونري!! وكنا نقول: لا يمكن أن يأتي شذاذ الآفاق، وحجاج الشعوب ويقيموا لهم وطنا

---

(١) للمزيد من معرفة أوربا في عصور الظلام انظر ما كتبه العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) ص ١٥٨ - ١٦٠. نقلاً عن كتاب «تاريخ أوربا» لمؤلفه مستر «ليكي».

(٢) الأولي أن يقال: ثالث المسجدين المعظمين، إذ لا حرم ثالث بعد الحرم المكي والحرم المدني.

في قلب ديارنا ونحن أحياء!! ولكنهم أقاموا الوطن، وأقاموا الدولة، وظللنا نقول: (إسرائيل المزعومة) حتى رأينا الخزي يملأ أفواهنا، فلم نعد نراها مزعومة. بل رأيناها حقيقة.. بل أصبحت تتحدى الدول العربية والشعوب الإسلامية فتحتل فلسطين وتصفع هذه الجبهة، وتركل الأخرى.

كل هذا ولا نقدم شيئا، إلا أن نرسل احتجاجات إلى هيئة الأمم، أو مجلس الأمن، أو مراقب الهدنة. يا للفجيعة ويا للعار، ويا للمصيبة ويا للشنار!!

يا قومنا: إن فلسطين هي الأنشودة الحزينة، نعرفها ونرددها دائما. إنه لا ينبغي أن تشغلنا قضية مصر عن قضية فلسطين. فإن مصيرنا واحد. ولقد قال الزعيم المراكشي (علال الفاسي): أنا لا أنسى أبدا قضية فلسطين، وربما أنسى قضية مراكش!! لأن فلسطين ليست بلدا عاديا، بل حرما مقدسا من حرمات المسلمين، علي المسلمين جميعا أن يدافعوا عنه.

يا قومنا: إن مليونا من اليهود أو أقل يعملون هذا كله. أربعة عشر مليونا متفرقين استطاعوا أن يقيموا دولة، علي الرغم من وجود خمسمائة مليون مسلم وثمانين مليون عربي[1].

كارثة اللاجئين:

أليست هذه مصيبة؟ أليست هذه فضيحة الفضائح ومأساة المآسي؟! لقد رأيت اللاجئين بعيني حين زرتهم في مخيماتهم في صيف سنة ١٩٥٢م، وإن قصة اللاجئين لهي قصة الطير الذبيح، والأسير الجريح، واللحن الحزين، والدمع الثخين، والألم الدفين.. فنحن هنا نلبس القطن والصوف، ونسكن البيوت والقصور، ونتغطي بالغطاء الثقيل، ومع هذا كله نشكو البرد، ونرتعد من البرد. فكيف هؤلاء الذين يعيشون في خيام ممزقة، إذا جرت الرياح الهوج، وعصفت العواصف، خلعت الخيام، فيجرون وراءها حتى يمسكوها!

إنهم لا يحصلون من مواد التموين إلا على بعض «الكيلوات» من الدقيق

---

(١) عدد المسلمين الآن زاد علي المليار وثلث المليار.

تنتهي في الخامس عشر من الشهر. إن مليونا من اللاجئين يبكون ولكن لغيرحبيب، ويشكون ولكن لغير طبيب، وينادون ولكن أين المجيب؟ فهل نجيب الدعاء، ونلبي النداء، وننصر إخواننا والله يقول: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ...﴾ [الأنفال: ٧٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

يا قومنا: إن إخواننا يذوقون المر، ويلاقون الأسي، ويقاسون العذاب. وهكذا أصبح حالنا. ولله در الشاعر[1] إذ يقول:

إني تذكرت والذكري مؤرقة ... مجدا تليدا بأيدينا أضعناه
ويح العروبة كان الكون مسرحها ... فأصبحت تتواري في زواياه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها ... وبات يملكنا شعب ملكناه
أني اتجهت إلي الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصا جناحاه!!

بين وعد بلفور ووعد الله تعالى:

يا قومنا: إن وعدا من الإنجليز حفز اليهود على أن يقيموا وطنا قوميا، من وزير خارجية بريطانيا (بلفور) في نوفمبر سنة ١٩١٧م في الحرب العالمية الأولي. حفزهم هذا الوعد على العمل، وأشعل الحماسة في صدورهم، وأخذ (هرتزل) يجوب الآفاق، ويجمع الأموال، ويجمع الشباب والشابات، فهاجروا من كل مكان تاركين العزَب والضياع، في سبيل أن يعيدوا مجدا قديما تحطم، ودولة أفني عليها الدهر، ملك سليمان كما يقولون..

وفعلا أقاموا هذه الدولة، وليست هي كل شيء عندهم؛ بل ما هي إلا لقمة بعدها لقيمات، ولطمة بعدها لطمات، فليس الأمر أمر قطعة أرض ملكوها يلتمسون المزيد، بل إنهم يتغنون بهذا النشيد: ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل!! أي من العراق إلى مصر.

وعد الانجليز لليهود وعدا فعملوا وجاهدوا، ووعدنا الله وعدا، ﴿وَعَدَ اللَّهُ

---

(١) الشاعر هو: محمود غنيم. وهذه الأبيات من قصيدته الرائعة (وقفة علي طل) وهي من روائع الشعر العربي في العصر الحديث.

الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].

وعدنا الله بهذا. فهل حفزنا وعد الله علي العمل، هل أوقد شعلة الحماسة في الصدور؟ وهل جمع المتفرقين؟ وهل ألف بين المتخاصمين؟ وهل عملنا وجاهدنا؟! كلا كلا. لا زلنا في غفلة. لا زلنا في نوم عميق، . لا زال يلعب بأعيننا النوم رغم أن الشمس ساطعة.

القدس قضية الأمة الأولى:

يا قومنا: هذا هو حاضرنا.. علينا أن ننظر إليه ونستعد للعمل والبذل، وإن قضية فلسطين يجب أن نذكرها دائما فهي قضيتنا الأولي، قضية الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها. يجب أن نبذل لهم المال والطعام، والغطاء والثياب، ونحن وقتذاك نبذله للإسلام، نبذله لكرامة القرآن. نبذله لله رب العالمين، نبذله لأنفسنا ﴿ **وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦].

هؤلاء الخمسمائة مليون مسلم.. ليت معنا بدلا منهم خمسين ألفا من الرجال الذين يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع، لا تغريهم المنحة، ولا تفتنهم المحنة، ولا يغريهم وعد، ولا يثنيهم وعيد!!

ليت لنا اثنا عشر ألفا يحملون اللواء، ويكونون من الصادقين.

يا معشر الناس: يقول رسول الله ﷺ: «يوشك أن تتداعي عليكم الأمم كما تتداعي الأكله – أو الآكلة – إلي قصعتها.. قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «لا أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧) عن ثوبان وقال مخرِّجو السند: إسناده حسن، ورواه أبو داود (٤٢٩٧) والبيهقي في الشعب (١٠٣٧٢)، وابن أبي شيبة (٥/١٥).

وقال ﷺ فيما رواه الشيخان: «لن تقوم الساعة حتي تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر. فيقول الحجر: يا عبد الله – وفي رواية يا مسلم – هذا يهودي ورائي فاقتله»[1].

وإنا لهذا اليوم لمنتظرون؟؟

* * *

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦) ومسلم في الفتن (٢٩٢٢) عن أبي هريرة.